تأويل دلالة أسلوب الأمر في الشعر الفلسطيني المقاوم وفق نظرية الهرمنيوطيقا (ديوان إبراهيم المقادمة نموذجا)

أستاذة دكتورة عزت ملاابراهيمي الباحثان. حامد جنادله / بايزيد تاند

جامعة طهران / إيران

The Pattern of Non-informative Sentences in the Palestinian resistance poetry

Prof.Dr.Ezzat Molla Ebrahimi Researchers.Hamed Janadele /Bayzid Tand

University of Tehran/ Iran

mebrahim@ut.ac.ir

Abstract:

The present study is an attempt to give an account of the pattern of non-informative sentences in the poetry of Ibrahim al-Makadmeh. Non-informative sentences are of two types, namely, those expressing request and those not. Sentences expressing request which have received more attention from rhetoricians are of five types: interrogative, imperative, negative imperative, expressing wish and exclamative. Al-Makadmeh has not been active only in the political area but has also used his poems to provoke the Palestinian nation into a war against the enemy. Hence, it can be observed that the poet has made extensive use of both connotational and denotational meaning of non-informative remarks, more specifically, interrogative, imperative, and negative imperative in his poems to refer to concepts such as exclusion, denial, propitiation, incitement, hopefulness, defiance, humiliation, and threatening the enemy. This study showed that Ibrahim al-Makadmeh has used non-informative sentences in order to provoke the Palestinian people and fill them with hope. Non-informative sentences have served him to express denial, encouragement, defiance, scoffing at the soldiers of enemy, guidance and advice, and invitation to resistance against the enemy.

Keywords: Ibrahim al-Makadmeh, non-informative sentences, interrogatives, imperatives.

الملخص:

إن أسلوب الأمر بسبب سماته البلاغية المختلفة ومعانيه الثانوية يحظى بأهمية كبيرة فى الشعر العربي المعاصر. لهذا دراسته في أشعار الشعراء المعاصرين قد تدلنا على كيفية استخدامهم لأسلوب الأمر والمعاني الثانوية التي قصدوها من جراء هذا المهم. وأما من بين هؤلاء الشعراء نرى الشاعر الفلسطينى إبراهيم المقادمة الذي قضى معظم حياته في سجون الإحتلال، قد استخدم هذا الأسلوب بشكل كبير في شعره، سواء في معانيه الأصليّة أو الثانوية. لذلک قد عمدنا في هذا البحث إلى دراسة أسلوب الأمر وتأويل معانيه البارزة في ديوان الشاعر وفق نظرية الهرمنيوطيقا. وبينت هذه الدراسة أن الشاعر بإستخدامه لهذا الأسلوب وتقديمه التفسيرات الحية قد جسد روح الهرمنيوطيقا في أشعاره وبالنتيجة استطاع أن يعطى تفسيرات جديدة ودلالات ثانوية لأسلوب الأمر من خلال رؤيته المعرفية والدينية والتاريخية والرمزية.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم المقادمة، أسلوب الأمر، الهرمنيوطيقا، علم التأويل، المقاومة.

المقدمة

من بين التحديات المثيرة للجدل في النقد الأدبى الحديث والذي نال اهتمام العديد من العلماء هو المنهج الهرمنيوطيقي والتأويلي الذي يقوم بدراسة النص وكيفية فهم القارئ للنص وتفسيره ومناقشته. التعبير عن المناظر الطبيعية المتعددة والمتنوعة ليس بسهل، ولكنه يتطلب مهارة وقدرة في مجال معالجة النصوص لتبيين مقصود المؤلف وانفتاح الطريق أمام القارئ للوصول إلى تفاسير جديدة من النص. ورغم أن هذه النظرية كالكثير من المناهج النقدية قد طرأ عليها تحولات ولكن مع ذلک لها جوهر أصيل ومبدأ في النصوص الدينية. وإنها من هذه النصوص وبشكل تدريجي قد دخلت مجال الأدب والمنهجية. «وإنها تنقسم إلى فترتين من الزمن: القديمة والحديثة، وهذه النظرية في الأصل تعنى استعادة النص إلى لغة مفهومة وواضحة. وترتباً على ذلک النظرة القديمة تسعى إلى كشف نوايا المؤلف ولكن الجديدة تتحدث عن عدم قطعيت المعنى» (شميسا، 1378ش: 272).

الهرمنيوطيق مصطلح يدل على علم التفسير والتأويل ويرجع إلى اللفظ اليوناني «hermeneuein» الذي يدل على تأويل واستعادة العبارات والجمل إلى لغة واضحة لدى المتلقى. وأصل هذه المفردة قد أُخذ من اسم "هرمس" أحد آلهة اليونان وهو الذي كان رسولاً للآلهة الأخرى (أحمدي، 1377ش: 4- 5). وبشكل عام هذه النظرية لا تحتوي على مبادئ وأصول معينة وإن لها إتجاهين مختلفين: فالإتجاه الأول يزيل الستار عن نية المؤلف وفهم الأثر، فيما يعتقد الثاني عكس هذا الأمر. وترتباً على هذا يطلق على الأول اسم الهرمنيوطيقا القديمة وعلى الثانى الهرمنيوطيقا الجديدة (رحماني، 1384ش: 115).

أنّ الهرمنيوطيقا الجديدة تؤكّد على عامل اللغة وعنصر اللاوعي ونفسية القوم ولا تهتم بالكشف عن نوايا المؤلف أكثر ما تهتم بالنص وتأثيره على المتلقى. ومع ذلک «الرؤية التأويلية من خلال النظر فى هذا الأمر لا تتعرض لقضية المعنى اثباتا أو رداً وتعتقد أنه ليس بإمكاننا القطع بإدراک دلالات النص النهائية» (نفس المصدر: 116).

فنحاول في هذا البحث ومن خلال دراسة أسلوب الأمر في ديوان «لا تسرقوا الشمس» أن نبين رؤيت الشاعر التفسيرية. ففي هذا الصدد في البداية تحدثنا عن مفهوم الهرمنيوطيقا وعلم التأويل والنظريات المتعلقة به ومن ثم قمنا بتحليل وتفسير النصوص الشعرية. ففي هذا السياق نرى إبراهيم المقادمة الشاعر الفلسطيني المقاوم قد يوظّف المعاني الثانوية لأسلوب الأمر في شعره بشكل واسع وذلک لتفسير معانيه الشعرية والتعبير عن رؤيته ومقاصده الثورية والنضالية. وقد يخرج هذا الأسلوب عن معناه الأصلي ليدلّ على معان أخرى تفهم من السّياق، لذلک نسعى في هذا البحث لنجيب على السؤالين التاليين:

1- ما هو سبب استخدام الشاعر أسلوب الأمر؟

2- ما هي دلالات هذه الأسلوب في شعره؟

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أحد الجوانب اللغويّة في شعره، لأنّ لها دوراً كبيراً في الكشف عن خبايا النفس فأردنا أن نكشف عن أسرارها ونبيّن قيمتها. لذلک نسعى في هذا البحث أن نقوم من خلال دراسة أسلوب الأمر والمعاني الثانوية لدى الشاعر بالتعرّف على المفاهيم الرئيسة لقصائده وذلک برؤية تأويلية ليتبين للقارئ فائدة هذه المعاني بلاغياً ودلالياً ومقدرة الشاعر في صوغها إضافة إلى بيان كيفية إستخدام الشاعر لأسلوب الأمر وتأويل معانيه في ضوء نظرية الهرمنيوطيقا. في هذا الصدد حللنا عدد لا بأس به من نماذج شعره بالربط بين البنى العميقة والبنى السطحية للجمل وبيان السمات اللغوية في شعره.

خلفية البحث:

وأما في ما يخص خلفية البحث فلم تطالعنا دراسات حول هذا الموضوع بالتحديد ولكن وجدنا هناک دراسات أخرى قد درست أشعار إبراهيم المقادمة من زوايا مختلفة كالبحث الذي قام به محمد مصطفى كلاب بعنوان "البطولة في شعر الشهيد إبراهيم المقادمة"وهو يتناول في هذا البحث البطولة في شعر الشاعر للوقوف على تجلياتها الفنية والموضوعية، ومقوماتها المادية والمعنوية، ومعرفة أنماطها، وتتبع صورها، وتذوق معانيها، مع الكشف عن: أبعادها المعرفية، ومستوياتها النفسية. كما نرى بحثاً آخر للدكتور ماجد محمد النعامي بعنوان "توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم المقادمة"، وتناول هذا البحث أيضاً استخدام المصادر التراثية في شعر الشاعر بأبعاده المختلفة وبيان قدرته على التعبير عن رؤيته الفكرية والإنسانية وكيفية توظيفه بأنواع التراث من الديني والتاريخي والأدبي. وبحثاً آخر بإسم " الرومانسية الإيمانية في الخطاب الشعري للدكتور إبراهيم المقادمة في ديوان لاتسرقوا الشمس" ليوسف موسى رزقة الذي درس فيه رمانسية الشاعر.

معنا الأمر وصيغه

الأمر اصطلاحاً بمعنا طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء. بعبارة أخرى فالأمر «طلب الفعل من العالي إلي الداني، فينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا» (عتيق، 1985م: 75). عرّفه أيضاً عبدالرحمن حسن في كتابه قائلاً: «هو تحقيق شيء ما، مادي أو معنوي على وجه الإستعلاء مع الإلزام بصيغة من صيغ الأمر» (2007م: 228) وللأمر صيغ أربعة:

1- فعل الأمر: وهو أكثر الصيغ شيوعاً في العربية، ويكون ثلاثياً مجرداً أو ثلاثياً مزيداً بحرف أو حرفين. كقوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود/ 37).

2- المضارع المقترن بلام الأمر نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُوسَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (الطلاق/ 7)

3- اسم فعل الأمر ويكون مرتجلاً مثل: هيا، أو منقولاً عن الظرف أو الجار والمجرور كقوله تعالي: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (المائدة/ 107)، ف"عليكم" بمعنى: إلزموا.

4- المصدر النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالي: ﴿وَ بِالوَالِدَينِ إحْسَانَاً﴾ (البقرة/ 83)، بمعنى: أحسنوا.

والأصل في صيغة الأمر أن تفيد الإيجاب أي: طلب الفعل على وجه اللزوم، وهذا هو المفهوم منها عند الإطلاق، وما عداه يحتاج إلى قرائن أخرى تستفاد من سياق الحديث، وأهمّها: الدعاء، الالتماس، الإرشاد، التعجيز، التمني والتعجب (انظر لمزيد من الاطلاع: التفتازاني، 2001م: 419؛ الدسوقي، 1991م: 290؛ الهاشمى، 2005م: 67).

إن إبراهيم المقادمة استخدم صيغ الأمر كثيراً في أشعاره لحثّ شعبه الفلسطينى على الجهاد والتضحية سواء في معانيه الثانوية فتفيدنا زيادة عن معناها الأصلي كالتحدي والسخرية، والدعاء والتمني، والإرشاد والنصيحة التي نبينها ونحللها في هذه الدراسة.

دلالة أسلوب الأمر في ديوان إبراهيم المقادمة (1)

1- التحدي والسخرية:

إنّ لغة الشعر ليست كلغة الحياة اليومية، فقد يمل المرء من سماع حديث مكرر، لكن الأمر مختلف في الشعر، فالألفاظ المكررة تنسج لوازم موسيقية ونغمات إيحائية تخلق جواً ممتعاً في ذات المتلقي. لذلك يكرر الشاعر أفعال الأمر فى قصيدة "لا تسرقوا الشمس" مرات عديدة ويقول:

خذوا كل شئ ولا تسرقوا الشمس منا / خذوا القمح لكن... / خذوا النفط لكن... / خذوا الروح لا بأس / لا تسرقوا الشمس منا / نخاف عليها ظلام المحيط وبرد الجليد وأرواحكم / فلا تسرقوها / خذوا كل شيء ... ولكن دعوا شمسنا / نخاف عليها دماء الغروب / نخاف عليها دماء الغروب / نخاف علينا / سنمسك بالشمس قبل المغيب / نقطّع كلَّ السلاسل / فلا تسحبوا الشمس منّا / فكل خيوط الضياء / إلى القلب مشدودة والعروق / خذوا كل شيء وأبقوا الشروق / نخاف عليها الغروب، نخاف علينا / ونخشى بأن تلمسوها / فنفقد نحن الضياء (المقادمة، 2004م: 22- 23).

تشتمل الأبيات على ألفاظ التحدي ويتنازل الشاعر فى هذه القصيدة عن كل شيء، ويبيح كل شيء برضاه مقابل ألا يسرق العدو الصهيوني أرضه، وألا يخدش الحريته. فيكرر الشاعر صيغة فعل الأمر، "خذوا" الذي يأتي بمعنى السلب، ست مرات، فيبدأ بـ"خذوا كل شيء" أى الغالي والنفيس منّا، مقابل ألا تمسَّ الشمس بسوء، فالشمس رمزاً لوطنه «وهي مصدر الإشعاع والخير» (النعامي، 2007م: 59). ثم يتنازل الشاعر عن مقومات الحياة شيئاً فشيئاً ويقول "خذوا القمح، خذوا النفط، خذوا الروح". ثم يجمل مرة أخرى "خذوا كل شيء". يبدأ بها وينتهي بها تبياناً لرخص الحياة أمام بقاء جذوة المقاومة والحرية، ليكون كل شيء مهان في نظره أمام الشمس. ففي تعدد المعطيات المضحى بها تأكيد على معناها. وهكذا يستخدم أساليب الطلبيّة (خذوا) فى معناها الثانوية ويكررها مرات.

كشف الشاعر في هذه القصيدة عن الروح الجماعية في كلمة "الشمس منا"، أو "شمسنا"، فهو «يسند الشمس إلي نفسه والمسلمين معه، لأن الشمس مصدر حضارة الإسلام» (النحال، 2007م: 46)، وأسند الأفعال الثلاثة "خذوا"، "دعوا"، "أبقوا" لواو الجماعة دلالة على تكاتف أطراف عديدة لسرقة الشمس وجذوة الجهاد والمقاومة، وليس فرداً واحداً، «وفي ذلك إيحاء برفض قاطع للاستيلاء على الشمس، وبالتالي يهدد الشاعر هذا المجموع ليدعوا الشمس ويبقوا الشروق» (نفس المصدر).

كانت براعة الشاعر في البناء الشكلي حيث الصورة وتناسق الألفاظ وانسيابها بما يتلاءم مع جو النص وموسيقاه الخارجية والداخلية. إن ابراهيم المقادمة شاعر وجداني يحلق في فضاء التجربة الوجدانية المفعمة بالعاطفة الصادقة التي تنساب ألفاظها في رقة وسهولة متناغمة مع حواره البديع وموسيقاه العذبة. فهو «يتخذ من قلبه سلّماً لبسط عاطفته الجياشة من خلال تمرده على واقع الحياة دونما تهويمات في دنيا الخيال المجنح لتحقيق الانعتاق للبشرية بأسرها وتجسيد الحرية الفكرية في قصائده المتميزة بالوحدة

العضوية والخصوبة في الصورة الشعرية نائياً بها عن دائرة التقليد مقترباً من مجال الإبتكار ملتزماً بقضايا أمته وشعبه دون إغراق في عالم الخيال» (الهشيم، 2011م: 185). يقول الشاعر فى أحد المقاطع من قصيدة "على الشبك":

فتلتحما على وشكِ / ويصيحُ جلف من وراء الظهر مسترقاً / ختمت زيارتكم هيا لتفترقا (المقادمة، 2004م: 8).

استخدم الشاعر أمرين متتاليين، أحدهما اسم فعل "هيّا"، والآخر فعل مضارع استمد الطلب من لام الأمر "لتفترقا"، دلالة علي قسوة السجان الذي ظهر خلسة وأعلن اختتام الزيارة دون أن يمهل هذه الطفلة تتمتع برؤية أبيها أكثر من دقيقتين أو ثلاث، وكأن السجان لم يتوان في إستحضار أفعال الأمر. فلجأ إلي استخدام أدوات الأمر البسيطة المتمثلة في حرف الأمر "اللام" واسم فعل الأمر "هيا" المتداول كثيراً. ويزيد في قسوة السجان تشديد الياء و مد حرف الألف في "هيَّا"، و قعقعة القاف في "لتفترقا"، إضافة إلي أن "تفترقا" مضارع "افترق" زنة "افتعل"، لأنّ هذه الصيغة في بعض الأحيان «تفيد الخطف والسلب» (ابن عصفور، 1996م: 194).

إن ابراهيم المقادمة في غرفة التحقيق أعزل إلا من وهج الإيمان يبتدر المحقق بزخات من عبارات التحدي مستخدماً فعل الأمر فى شعره. فقصيدة "التحقيق" عبارة عن أسئلة واستفزاز من قبل المحقق المجرم وبالتالي كان لابد من التحدي والرد بقوة، «لأن شعور هذا السجين لابد أن يظهر جلياً أمام هؤلاء الظلمة، ولابد أن يبدو متمسكاً بحقوقه واعتزازه بإيمانه» (بريخ، 2010م: 167). فلهذا يقول الشاعر في هذه القصيدة:

ويأتي الليلُ يطرق بابنا المقفل / وقضبان الحديد تدقُّ إسفينا / وأبواب من الفولاذ تربض في فم المدخل / وقلبي نابض، هاتوا سلاسلكم / هاتوا بنادقكم، هاتوا قنابلكم / لن نستكين لبطشكم، هيهات، لن نرحل / ويأتي الليل يطرق بابنا المقفل / ويمضي الليل، هيا دونكم جسدي / وهات القيد، مزق معصمي الأجدل / وهات الكيس واكتم زفرتي الحرّى / وصبّ الثلج، في كانون، في صدري / فإن القلب كالمرجل / وهات الغاز واحرق مقلتي الحّرة / وسدّ منافذ الأنفاس في رئتيَّ / لن أوجل / وهدّد كيفما تهوى / وعذّب كيفما تهوى / فدونك قلبيَ المقفل / ويمضي الليل هيا دونك اصلبني / على الجدران، واحرم مقلتيَّ النوم / هات الضرب، هات الركل، لا تبخل / وكل وسائل التعذيب جرّبها، ولا تخجل / وشرّد أسرتي ما شئت/ واهدم فوقها المنزل / وعذّب صبيتي، هيهات أن أهنِ / وقلبي عامرٌ بالذكر يبتهلُ (المقادمة، 2004م: 12-13).

تشتمل هذه الأبيات على ألفاظ وأفعال التحدي التي يجابه بها عدوه مثل "هاتوا بنادقكم، هاتوا قنابلكم، هيا دونكم، هات القيد، هات الكيس، هات الغاز، هيا دونك، هات الضرب، هات الركل". ويعود الشاعر لتراكيب الجملة الفعلية التي تبدأ بأفعال الأمر "هات، فرق، واكتم، صب، احرق، سد، ..." وكأن الشاعر وسط نبرة التحدي هذه «يترك لنا مساحة لمعرفة ألوان التعذيب التي يتعرض لها السجين فترة التحقيق» (الكحلوت، 2003م: 36)، من تقييد وتمزيق للمعصم، وكتم للأنفاس، ويتابع الشاعر في سرد وسائل التعذيب النفسية من تشريد للأسرة وهدم للبيت وتعذيب الأبناء وتجريب ما يبتكره السجان من معدات و أدوات. ومع ذكر أنواع التعذيب يعرج علي ذكر الأدوات من: "سلاسل، بنادق، قنابل، قيد، كيس، ثلج، غاز". واللافت للنظر أن الأفعال مجردة ومزيدة تنتمي إلي معجم العنف الذي يتمتع به الصهاينة. من الأفعال الثلاثية المجردة: "اكتم زفرتي"، "صبّ الثلج"، "احرق مقلتي"، "سد منافذ الأنفاس"، "اصلبني على الجدران"، "احرم مقلتيَّ النوم". ومن الأفعال الثلاثية المزيدة بالتضعيف: "مزّق معصمي"، "هدِّد كيفما تهوى"، "عذِّب كيفما تهوى"، "كل وسائل التعذيب جرّبها"، "شرِّد أسرتي ما شئت" و"عذِّب صبيتي". فالأفعال ثلاثية تتردد بين المجرد والمزيد بالتضعيف، «والتضعيف يحمل في طياته المبالغة في الفعل، والتكثير مرة بعد مرة» (ابن عصفور، 1996م: 182). وبهذا يوصل الشاعر إلى قمة التحدي لهؤلاء الظلمة. فإذن كثرة أفعال الأمر في هذه القصيدة «تتناسب مع نبرة الصمود والتحدي» (النحال، 2007م: 45) التي غلَّفت الصياغة بمجملها، فمكنت الشاعر من أن ينفث كل ما بصدره من غيظ، و زفرات ثورة وغضب في وجه المحقق». ويرفع من وتيرة التحدي باستخدامه الفعل المقرون بالنفي "لن أوجل" ليؤكد استمراره في طريق المقاومة والجهاد. فهذه الأفعال الطلبية تمثل في مجملها تهديد الشاعر وتحقيره للسجان المتغطرس، والمحقق المتجبر. فلذا يقف الشاعر أمامهم متحدياً بإيمانه وقوة إرادته وصموده.

يبدأ الشاعر قصيدة "التحقيق"، متخذاً أسلوب القص، بالجملة الفعلية "ويأتي الليل" في دلالة على الزمن الذي يحدث فيه

التحقيق مما يعكس وحشية ليل السجين وقتامته، ثم يأتي مباشرة بالفعل المضارع "يطرق" ليعبر عن بداية الحدث، إلا أن الشاعر استوقف نفسه قليلاً ليكمل لنا رسم الصورة لما قبل الحدث حيث تحول من تراكيب الجمل الفعلية إلى جمل اسمية "وقضبان الحديد تدق، وقلبي نابض" الذي كون عناصر السجن «لكي تكتمل صورته في ذهن المتلقي فيستشعر عظمة الموقف وهول المصاب الذي يكتنف السجن» (الكحلوت، 2003م: 34)، ثم جاء الخبر جمل فعلية فعلها مضارع "تدق، تربض" ليعطي لمشهد السجن، بسكون عناصره، حيويةً نابعة من حيوية الجملة الفعلية وحاضرية الفعل المضارع، فهي نابضة بكل ما يؤذي السجين من تعذيب وألم. ثم يلجأ الشاعر إلى الجملة الإسمية الكاملة بركنيها المبتدأ والخبر بعدما قدم بجمل تمزج بين المبتدأ الإسمي والخبر الفعلي، وذلك لأن الشاعر يريد أن يصل بنا إلى أنه تفاعل مع مجريات الحدث الذي يدور حوله بنبضات القلب الثابتة التي جاءت في قالب الجملة الإسمية «الذي يفيد الثبوت» (الهاشمي، 1388ش: 66)، لكي «توائم ثبوته النفسي و الوجداني أمام هذا الجو المرعب» (الكحلوت، 2003م: 35) عندما يتحداه بقوله "هاتوا سلاسلكم". و بعد أن أكمل الشاعر صورته للموقف، ينتقل إلى استخدام تراكيب جديدة من جمل فعلية تبدأ بفعل الأمر "هاتوا" و يكررها ثلاث مرات في تحد لبطش السجان وعدم اكتراث بالسلاسل والبنادق والقنابل، لتصل نبرة التحدي مداها عند الشاعر حين يستخدم الفعل المضارع المنفي بلن "لن نستكين، لن نرحل" مرتين مظهراً الإصرار الأبدي على التحدي وعدم التنازل عن إيمانه ومعتقده وأرضه و وطنه.

سجلّ ابراهيم لنا في هذه القصيدة ما يعاني السجين من تعذيب نفسي وجسدي، وكانت لغة الخطاب في أشعاره متفاوتة ما بين المباشرة والرمزية والإيحاءات في الصورة الشعرية، وإن كنا نرى أن في المباشرة عيباً وتنازلاً عن جماليات الشعر إلا أن مقتضي الحال يفرض على الشاعر النزوع إلى هذه المباشرة ولاسيما أنه يفجر براكين الغضب لمواجهة المحتل، كما أن المضمون في شعره لم يقف عند حدود الشعر السياسي المقاوم فحسب، بل إن «حرارة الدفء الوجداني والإنساني والأخلاقي تسري في قصائده، فالحديث عن السجن وتداعياته لم ينأ بالشاعر عن التحليق في فضاء البعد الاجتماعي حيث الشوق إلى أمه وأبيه ذوي القربى، ومن تربطه به ذكريات جميلة تعكس رؤيته الممزوجة بالألم والمعاناة في داخل السجن وخارجه وكيف استطاع قلب المعادلة بتحويل المحنة إلى منحة معززة بالأمل الذي يرقب النصر» (الهشيم، 2011م: 47).

فلذلك يكرر إبراهيم في قصيدة "التحقيق" فعل "عذّب" لأن هذا الفعل يلخص المعاناة داخل السجن، فرحلة العذاب تبدأ «بحرف العين أي من أقصي الحلق إلى الباء التي مخرجها الشفتين، مروراً بالذال التي مخرجها من بين اللسان والأسنان العليا» (أنيس، 1983م: 50).

إضافة إلى ذلک استخدم إبراهيم المقادمة في هذه القصيدة اسم فعل الأمر ثلاث عشرة مرة. ف"هيا": مرتان، وهي اسم فعل أمر بمعنى تعال وأسرع. و"دونك": ثلاث مرات، وهي من أسماء أفعال الأمر المنقولة عن ظرف بمعنى خذ. ويردد الشاعر "هات" ثماني مرات "هاتوا سلاسلكم"، "هاتوا بنادقكم"، "هاتوا قنابلكم"، "هات القيد"، "هات الكيس"، "هات الغاز"، "هات الضرب"، "هات الركل". فمعروف أنه أكثر أسماء الأفعال عدداً واستعمالاً والتكرار دالٌّ على أنه يريد تؤكيد الكلام ووصفهم بهذه الصفات.

وفي وسط التعذيب والمعاناة كان يبحث الشاعر عمن يخفف عنه هذه العذابات فوجد في شخص بلال المستوحى مثالاً له في الصبر على الأذى والثبات رغم شدة الألم، ورمزاً للتحدي، «فبلال كان أسطورة في الصبر فيستلهم منه الشاعر دروساً يحفظها، لتبقى له نبراساً مشتعلاً لتحدي البطش، ليأتي بعدها الرفعة والاستعلاء كما حدث مع بلال الذي ثبت على إيمانه، وكذا الشاعر الذي ثبت على دربه» (الكحلوت، 2003م: 33). وفي ندائه لبلال بن رباح ونعته إياه ببلال الخير استدعاء لصفحات تاريخ ناصع مشرق تتمثل فيه صلابة الإرادة واستعلاء الإيمان، فكما انتصر بلال على قوى الشرك وهو يعذب في بطحاء مكة كذلك سيخرج الشاعر منتصراً على بطش السجان وأدوات تعذيبه اللافحة حاملاً مشعل الرشد و صانعاً مستقبل المجد و يقول:

بلالٌ، يا بلال الخير علّمني / دروساً في تحدى البطش / أحفظها ولا أغفل (المقادمة، 2004م: 15)

يستدعي الشاعر شخصية بلال بن رباح، صحابة الرسول (ص) ومؤذنه «رمزاً للصمود والتحدي والتضحية والفداء في سبيل هذا الدين، حيث لم يستطع أعداء الدين قهر إرادته وصموده، فلم يتنازل ويتخلى عن دينه، على الرغم من تعرضه لصنوف شتى من العذاب الشديد، فظلت كلماته الخالدة (أحد أحد) نبراساً يضيء الطريق لأبناء هذا الدين، فمن أمثال هذه النماذج الطاهرة،

يستمدون الهمم العالية، والثبات على المبدأ مهما عظمت التضحيات، حتى يكتب لهذا الدين النصر والتمكين» (النعامي، 2007م: 49). يستدعي الشاعر شخصية بلال مستخدماً آلية (الإسم المباشر)، ومن خلال استدعاء صفة الصمود والتحدي، ويربط بينه وبين بلال من خلال آلية الإلتفاف من المخاطب إلى المتكلم، فبلال قد عذبه الكفار لينزعوا منه اعترافاً بينهم لكنه رفض، والشاعر يتعرض للتعذيب والتنكيل من جلاديه، لينزعوا منه اعترافاً بشرعيتهم لكنه يرفض، ونلمس من خلال الأبيات توجيهاً خصباً لأبناء الأمة بالعودة إلى كتب السيرة وقراءة ما فيها، حتى يحذوا حذوا الأبطال من الصحابة (نفس المصدر، 50). وبهذه الأبيات يسلّي الشاعر نفسه ويرشد أبناءه وتلاميذه من بعده بإتباع سيرة السلف الصالح وبهذا يشحذ هممهم، وينبههم إلى أن الطريق ليست مفروشة بالورود والرياحين، بل بالأشواك والعذابات، مستخدماً في ذلك الفعل "علّمني" الثلاثي المضعف، حرصاً منه علي المبالغة في التعلم والإكثار منه. لأنّ وزن "فعّل" وقد يكون «للتكثير والمبالغة والزيادة» (ابن عصفور، 1996م: 182).

2- الدعاء والتمنى:

إن أكثر ما استخدم الشاعر أسلوب الأمر بمعنى الدعاء والتمنى يكون في قصيدة "أحمد". تكون هذه القصيدة فى البحر المتقارب وهو من «البحور التي استخدمها الشعراء الرومانسيون الفلسطينيون للتعبير عن عواطفهم المتعددة من خلال إيقاعه الواضح، لأنه من الأوزان المتميزة الإيقاع بالرغم من القصر النسبي لوحدة إيقاعه (فعولن) التي تتكون من مقطع قصير (ف) ومقطعين متوسطين (عو- لن) والسبب الأساسي في تميز إيقاعه هو أن وحدة الإيقاع فيه لا يعرض لها في الحشو من الزحافات سوى نوع واحد هو "القبض" وهو حذف الخامس الساكن» (محسن، 2005م: 215). فهذا الشاعر يجسد أبعاد المعاني الإنسانية في وجدانياته وتبدو سمات الإتجاه الرومانسي حاضرة في قصيدة "أحمد" ولعل غلبة الذاتية الوجدانية قد تشكلت أبعادها دونما شطط، فالشاعر تفصله المسافة وأسوار السجن عن أهله وزوجته وأبنائه جسداً، لكن روحه ترفرف حولهم، فما أن نما إليه خبر غرق ابنه في البحر حتى تفطر قلبه حزناً، وتفجرت عاطفته أسى. لقد كان لموت فلذة كبد الشاعر، "أحمد" الأثر البالغ في نفسه، «فقد توفى ابنه البكر أحمد غرقاً فى بحر غزة بينما كان أبوه في السجن، ولم يتسن له وداعه أو المشاركة في تشييعه» (كلاب، 2012م: 22). فرثاه رثاء حزيناً، وقصيدته هذه مجبولة بالدموع. «ولكن دونما تمرد وسخط وجنوح إلى الخيال، ولعل ألفاظه الرقيقة الحزينة البعيدة عن التعقيد جاءت ملائمة للحدث المؤلم» (النحال، 2007م: 102). وشعر الشاعر على الفور بحدوث أمر جلل، وتلقى العزاء بصبر مشهود. فيحمد ربه العظيم ويدعوه و يناجيه ويقول:

عليك اعتمادي .. و أنت الرجاء / فثبّت فؤادي / أعنّي على مجريات القضاء / و من لي سواك بدنيا العناء (المقادمة، 2004م: 43).

فيخرج بالأمر إلى معنى الدعاء والمناجاة مستخدماً في ذلك فعل "ثبّت" و"أعنّي". لأنّ «الفعل المزيد بالتضعيف وبالهمزة يدل على المبالغة» (ابن عصفور، 1996م: 182). يواصل الشاعر قصيدته ويدعو الله أن يرفق بها ويجبر قلبها ويربط عليه ويقول:

رفقاً بقلب الأم يا ربَّ السماء / أرسلْ سكينتك الحبيبة أرضها / بقضائك المحتوم وامنحها هداك / يا راحماً واربط بفضلك قلبها / واجبر قلوباً أنت جابرها، رضاك (المقادمة، 2004م: 43).

ينوّع الشاعر في أدوات الطلب. فاستخدم الفعل المجرد "امنحها هداك"، "اربط قلبها"، "اجبر قلوباً" والفعل المزيد بالهمزة "أرسل السكينة"، "أرضها بقضائك" والمصدر النائب عن الفعل "رفقاً بقلب الأم، رضاك". والأساليب الإنشائية المستخدمة في هذه المقطوعة تفيد الدعاء وثم تدّل على الرفق والرحمة والجبران فينهي الشاعر قصيدته بالدعاء:

يا رب فاجمعني به / بجوار سيِّدنا المشفع (نفس المصدر: 47)

فيأتي بفعل الأمر "أجمع" ويدعو الله أن يجمعه ب"أحمد"، بجوار المصطفى (ص).

يعمد المقادمة فى قصيدة "عام دراسي جديد" إلى تجسيد حوار بينه وبين أبنائه يبلغ ذروته الدرامية على المزاوجة التفاعلية الموارة بين ذاته وبيئته «فلا يحصر نفسه في الغنائية الذاتية بل يلجأ إلى الانصهار في بوتقة الأحداث ليتقاطع معها بشكل درامي حركي فقد اشتجرت الذاتية وتعقدت الأصوات واحتدمت الرؤى والتبس الشعر بتواترت الحياة وصراعاتها بعد استعراض ذهني لأعياد

ومناسبات خلت وما كان يثقلها من ألم ومعاناة وبين أحداث مستقبلية تشع خلالها الرغبات والأماني في نفوس أبنائه برؤية أبيهم في المستقبل» (فضل، 1998م: 122). فيخاطب ابراهيم فى هذه القصيدة أبناءه ويتمنى أن يكونوا جنوداً للمقاومة:

يا شغافَ القلب عهداً لن نحيد / فاكبروا للحق جنداً / يبذل الرّوح يضحّي بالحياة / لا يبالي في سبيل الحق لوسالت دماه (المقادمة، 2004م: 19).

ثمّ يخاطب ربّه وياتي بفعل الأمر دعاءً ويتمنى أن يمنحه الله الشهادة في سبيله، فتكون أشلاؤه جسراً تمّر عليه الأجيال القادمة ويقول:

أنا للجنة أحيا، يا إلهي / في سبيل الحق فاقبضني شهيداً / واجعل الأشلاء مني معبراً / للعز، للجيل الجديد (نفس الصفحة).

إن إيمان الشاعر بمنزلة الشهداء في الجنة دفعه إلى أن يطلب الشهادة ويتمناها، وترددت هذه الأمنية في سفره ويستخدم الشاعر في ذلك الفعل "اقبضني" ولم يقل "أمتني" أو "اقتلني"، وجاء بفعل التحويل "اجعل" ولم يقل: "قطعني" أو "مزقني".

ويتمنى الشاعر في قصيدة "لا تسرقوا الشمس" من أعداءه ترك الشمس ووطنه وتبين أن هذا السلب له ثمن، وثمنه ليس بسيطاً. ثم يأتى بـ"دعوا شمسنا"، "وأبقوا الشروق":

... ولكن دعوا شمسنا / ... خذوا كل شيء وأبقوا الشروق (نفس المصدر: 22).

يستدعي الشاعر في قصيدة "عياش" شخصية أبطال المقاومة، ليعبر عن مرحلة من مراحل الكفاح الفلسطيني، بل ويجعلها العمود الأساسي لقصيدته. يخاطب الشاعر في هذه القصيدة روح الشهيد يحيى عبداللطيف عياش، الذى يلقب بالمهندس. «كان يحيى من أبرز قادة كتائب الشهيد عزالدين القسام، الجناح العسكري لحركة حماس. ولد ببلدة رافات في محافظة سلفيت بالضفة الغربية فى 6 مارس 1966م، حاصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة الكهربائية من جامعة بيرزيت عام 1993م، اتهمته إسرائيل بأنه خلف مقتل العشرات، فاستمرت بمطاردته في الفترة ما بين أبريل 1993م حتى اغتياله. وقد كان خبير المُتفجرات في حركة حماس. في 5 يناير 1996م وهو داخل شقة سرية في شمال قطاع غزه، تلقى مكالمة عبر هاتفه الخلوي 50 غرامًا من المواد شديدة الانفجار، التي تم دسها في بطارية الهاتف الخليوي الذي كان بحوزته، قضت على يحيى عياش فوراً» (ملاابراهيمى، 1390ش: 386).

فشخصية عياش البطولية عند الشاعر رمز المقاومة، وما سواه سراب، فرمزيته تكمن في جهاده الذي يعني الحياة، أما الذين تركوا الجهاد والتضحية، وانغمسوا في ملذات الدنيا فهم أموات (النعامي، 2007م: 78). كأنّ هذا البطل فى رؤية ابراهيم المقادمة، حيّ يعد المتفجرات ويجهز القنابل، ويقاوم دون حجب الشمس، وفي الوقت نفسه فهو يرمز لكل مجاهد أخذ على عاتقه رفع راية الجهاد، فيقول:

فجّرْ قنابلك انطلق وانزع عن الشمس الحجاب / عيّاش أنت النور في دنيا تسربلت الضباب / عيّاش أنت الليث في زمن تسوّدت الكلاب / فانشر ضياءك إن هذا الشعب قد سئم العذاب / فجّرْ بقايا بأسنا أطلق أمانينا العذاب / عيّاش لا ترحل وتترك حلمنا نهش الذئاب (المقادمة، 2004م: 56).

إن الشاعر يستخدم لبيان أغراضه من أفعال الأمر، أفعالاً ثلاثية مجردة "انزع" و"انشر" فعلاً ثلاثياً مزيداً بالهمزة "أطلق" فعلاً ثلاثياً مزيداً بالتضعيف "فجِّر" مرة في تفجير القنابل وأخري في تفجير البؤس الذي طالما تحملناه على سنوات طويلة وفعلاً ثلاثياً مزيداً بالهمزة والنون "انطلق" في زنة (انفعل)، «ومن معانيها المطاوعة» (ابن عصفور، 1996م: 129). يريد من عياش أن يطاوع ويفعل فعلاً. إن الشاعر استخدم هذه الأفعال ويفيد التمنى من "عياش" التفجير، الانطلاق، نزع الحجاب عن الشمس ونشر ضياء الحق لتسطع شمس الحرية، شمس الإيمان دون أن يشوبها غبار بإطلاق أعذب الأماني لهذا الشعب الذي سئم حياة البؤس والعذاب.

يستخدم الشاعر ضمير المخاطب في محاورته للشخصيات التراثية، «ليولد الإحساس بالمفارقة لدى المتلقي بين ملامح النور الذي تحمله الشخصية، وبين الواقع المرير الذي تحياه الأمة» (النعامي، 2007م: 78)، ويوظف الشاعر التكنيكات الشعرية

المتنوعة، ليعبر عن واقع الشعب الفلسطيني المأساوي، ونلمس ذلك في: الاستعارة المتمثلة في "انزع عن الشمس الحجاب"، "تسربك الضباب"، "انشر ضياءك"، "فجر بقايا بأسنا"، "أمانينا العذاب"، "حلمنا تنهشه الذئاب"، والتشبيه المتمثلة فى "أنت النور" و"أنت الليث". وللتشبيه في بناء الصورة الشعرية سمة خاصة به فهو أقدر على تفجير اللغة وتمثيل المعنى وإثارة الخيال وتتابع الدلالات. «وتبرز روعة التصوير عندما يتماهي دلالياً مع بنية النص ويتساوق مع الحالة الشعورية والنسق التصويري، وحيث يكون من التشبيه فيه من الجدة والابتكار ويتجاوز حد المحسوس القريب من التعبير الإنشائي في وصف الجزئيات بصورة سطحية فإنه يحقق غرضه في استجلاء جماليات الصورة» (غنيم و الهشيم، 2012م: 77).

التكرار الذي اعتمده المقادمة في كلمة "عياش" تعكس الحاجة الملحة لمن هم على شاكلة هذا الرمز، لإخراج الشعب الفلسطيني من حالة التردي والهوان، وإعادة الموازين إلى نصابها الصحيح بعد أن قلبت، ونلمس ذلك من خلال رمزية الليث، والكلاب، والذئاب، وكذلك التكرار في "فجّر" يوحي بعهد المأساه التي وصل إليها الشعب، حيث وصل إلى درجة الانفجار بجلاديه الذين ساموه سوء العذاب واستخدام الشاعر لأداتين من أدوات التوكيد في قوله: إن هذا الشعب قد سئم العذاب، يكشف عن صعوبة الوضع الفلسطيني، ورغبة الشعب الملحة، للخروج من هذه المأساة، فاستمرار المقاومة المتمثلة بعدم الرحيل "لا ترحل" «يعني إمكانية تحقيق الحلم الفلسطيني باسترداد حقوقه» (النعامي، 2007م: 49).

يختم الشاعر في قصيدة "على الشبك"، أبياته بدعاء ويقول:

جاهدت فيكَ إلهي طائعاً رغباً / ولن أهادن فاحفظ فلذة الكبد (المقادمة، 2004م: 8).

ويستخدم الفعل الثلاثي "احفظ" تأدباً مع الحفيظ سبحانه وتعالى، ويتمنى الله أن يتعهد بنته بالرعاية والحفظ في ظلّه.

3- الإرشاد والنصيحة:

إن المجتمع الذي لا تسري في عروق أبنائه روح الأخوة ونبل الصداقة عرضة للتشظي، لذا كان غرس معاني الأخوة والدعوة إلى توثيقها أمراً لازباً عبر مسيرة الحياة. فيأتى إبراهيم المقادمة فى قصيدة "عائد" بفعل الأمر على سبيل الإرشاد والنصيحة ويقول:

يا إخوتي يا بدر هذا الليل للظلماء قاتل / صُونوا أخوتكم وأحيوا ليلكم فالظلم زائل / يا زمرةَ القلب الموحد ليس تخلطه الشوائب / يا عصبة الإيمان شقُّوا دربكم وسط الخرائب / أحيوا جهادكم نبيّكم صفُّوا الكتائب / لا ترهبوا جبروتهم فالكفر خائب / وتقدمّوا هذي بشائركم تلوح بها البوارق (نفس المصدر: 53 – 54).

استفاد الشاعر هذه الأفعال الأنشائيّة ك"صونوا"، "أحيوا"، "تقدموا" و...، التماساً ويلتمس من إخوانه بعض الأوامر، فتشير هذه الأفعال الإنشائية إلى نصائح، منها صون الأخوة، وإحياء سنة قيام الليل وفريضة الجهاد، وشق طريق المستقبل وسط العتمة والخراب والفساد، وصف الكتائب، والتقدم نحو المستقبل، وقيادة الأمة، «فأسند الأفعال الإنشائية جميعها لواو الجماعة لإلقاء المسئولية على الجميع، فيناشد جميع إخوانه ولا يستثني منهم أحداً» (الحنفي، 2006م: 183). يستخدم الشاعر في ذلك الأفعال الثلاثية المجردة "صونوا"، "شقُّوا"، "صفُّوا". والفعل الثلاثي المزيد بالهمزة "أحيوا" مرتين للتأكيد على أهمية إحياء الفرائض. والفعل الثلاثي المزيد بالتاء والتضعيف، ك"تقدَّموا" زنة (تفعَّل) «تفيد التكلف» (ابن عصفور، 1996م: 184).

يخاطب إبراهيم المقادمة في قصيدة "على الشبك" ابنته بأسلوب الأمر ويوصيها وينصحها:

أبنيتي، كوني علي ثقة / بالحق، بالنصر / مهما استبدت ظلمة الحلك (المقادمة، 2004م: 8).

وفي الوصية استخدم فعل الكون الناقص "كوني" ليفيد ضرورة التمسك والاعتصام بحبل الله بدل أن يستخدم فعل الأمر "ثقي" بالحق بالنَّصر. يأتي الأمر "كوني" فى معنى النصيحة وينصحها الثقة بالله والنصر على الظلم وقوى البغى مهما طال هذا الظلم.

4- التأكيد:

إن المقادمة في عنوان قصيدة "خذيني إليك" أسند الفعل إلى ياء المخاطبة، فهو لا يعني أن الشاعر يخاطب زوجته أو أمه أو ابنته. بل خطابه لمن هو أعز من ذلك، فإنه يخاطب الجنة التي طالما اشتاق إليها، فقد ضاقت به الدنيا بما رحبت، فحياته

تتنقل بين المنافي والمخافر والمغاور. حتى المقابر التي لابدّ أن تكون معبراً للدار الآخرة ترفضه، بحجة جوازه المصادر؛ خاصة وأن نعشه بالعيون الراصدة محاصر. فروحه خرجت من هذه الدوائر، وتنتظر اللحظة التي تستقر في حواصل طير خضر وتطوف في خلد الجنان. فيقول:

خذيني إليك / فكلُّ الدوائر ضاقت عليَّ / وكل المنافي وكلُّ المخافر / ملّت لقاي وكلّ المغاور / تخاف إذا خبأتني / وحتى المقابر / إذا جئتها ميّتاً خبرّتني / بأن جوازي مصادر / وأن المراصد في كل درب / تحاصرُ نعشي المحاصر / خذيني إليكِ (نفس المصدر: 25).

يكرر الشاعر أسلوب الأمر مرتين تأكيداً على هذه الرغبة "خذيني إليك ... خذيني إليك" ويطلب منها أن يكون قصة وقصيدة تُغنَّى لتواسي اليتامى والثاكلات .. ليكون انتقاله إلي الجنة بمثابة فتح باب جديد للمجد وسطوع للبدر في ليلة التمام. ويحكى هذه المقطوعة عن المقاومين الذين يرون الموت عزاً والتسليم ذلة. ثم يقول:

انظميني قصيدة ثأر / تغني بها الثاكلات اليتامى (نفس المصدر: 26).

5- التجلد والصبر:

يستخدم الشاعر فى قصيدة "حديث على أبواب الجنة" أسلوب الأمر ويحثّ أمه الحنون على الصبر والتصبّر، فاستخدم في طلبه "لام" الأمر، وفعل "تصبّري" بزيادة التاء والتضعيف زنة تفعَّل التي «تفيد التصنع والتكلف» (ابن عصفور، 1996م: 184)، ويقول:

ولتصْبِري وتصبَّري / إن فات في الدنيا جميل / فهناك في الفردوس ما فوق الجميل (المقادمة، 2004م: 60).

فالشاعر في قصيدة "أحمد" يواسي زوجته على هول المصيبة ويحثها على التجلد والتصبر والهرع إلى الصلاة ويقول:

فتجلدّي وتصبري الصبر الجميل / وإلى الصلاة .. إلى الصلاة .. إلى الصلاة (نفس المصدر: 43).

يستخدم الشاعر فى ذلك أفعال "تجلَّدي" و"تصبَّري"، الأمر من تجلَّد وتصبَّر المزيدين بالتاء والتضعيف "تفعَّل". وهكذا يحث إمرأته على صبر والصلاة. فالمحنة والمصيبة التي فيها هذه المرأة المحتسبة لا تحتاج إلى صبر وجلد فحسب بل تحتاج إلى أن تتكلف الصبر والجلد؛ لأنها أكبر من أن تحتمل. وإلى جانب ذلك استخدم الشاعر الأمر باسم فعل الأمر المنقول عن الجار والمجرور: «إلى الصلاة .. إلي الصلاة .. إلي الصلاة»، ويكررها ثلاث مرات لأهمية الصلاة في حياة المؤمن في الاستعانة على قضاء الحوائج. وقد استمد الشاعر هذه المنحة من قوله تعالي: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَي الخاشِعِينَ﴾ (البقرة/ 45). بحيث قرن سبحانه وتعالى في كثير من الآيات بين الصلاة والصبر.

نتيجة المطاف

يتضح لنا من خلال دراسة أسلوب الأمر في ديوان «لاتسرقوا الشمس» أن إبراهيم المقادمة إضافة إلى تأويله للنص فى العبارات المختلفة يدعو المتلقي إلى البحث في شعره. ولكن الموضوع الجدير بالملاحظة هو معرفة الشاعر الكاملة لتأويل النصوص. فإنّه استطاع أن يصور هذا الموضوع بأشكال مختلفة في أسلوب الأمر. وبعبارة أخرى أنه يختار منهجية التأويل للتأويل. مما يعنى أن الشاعر في نفس الوقت الذي يفسر فيه المفاهيم والنصوص، يسمح للمتلقي أن يفتح أمام شعره عوالم جديده وأن يقدم صور متعددة.

وبالتأمل في ديوان الشاعر نجد أن لغة الشاعر وألفاظ قاموسه الشعري احتفظت بوجهها، سواء أكانت القصيدة تحمل هماً وطنياً سياسياً أم وجدانياً عاطفياً. ففي ديوانه مخزون من الألفاظ أفرزتها ذاكرة الشاعر. إنه يتفرد بألفاظ تميز معجمه الشعري والتي تحدد ملامح شخصيته في شدته ورقته. فمن تتبع قصائد ديوانه يجد في معجمه الشعري ألفاظاً وأساليباً كثيرة الدوران تعكس شخصيته بوضوح.

وتبيّن مما مرّ أن الشاعر يمد إلى الكلام البليغ ويستخدم الأساليب الإنشائية خاصة الأمر مستهدفاً إحياء روح الأمل في نفس الشعب الفلسطينى والجهاد أمام العدو الظالم والغاصب. وتدل هذه الأساليب على نفسية الشاعر التي تعاني ألم الغربة في سجنه، فأخذ يأمر السجان وينهى من كانت له به صلة قرابة أو جهاد، لأنه الرجل العملاق الذي لا تسمح له نفسه بالذل والهوان.

وإنه يستخدم أسلوب الأمر فى معانٍ غير أصلية فى سبيل أهدافه وأغراضه فتختلف معاني الأمر باختلاف مخاطبيه. على سبيل المثال عندما يكون مخاطبه المحتل تكون معانيه غالباً السخرية من هذا العدو الغاصب، أو تحديه وتهديده وتحقيره أو بيان وتقرير ظلمه للشعب الفلسطيني وسلبه ونهبه أو بيان واقع أمته المأساوي. وإذا كان مخاطبه شعبه وأهله فتدور معانيه حول مضامين كإثارة هذا الشعب إلى الجهاد والمقاومة، ودعوتهم بالعودة إلى تاريخهم ليحذوا حذو أبطالهم ويصونون إخوتهم ويحيون فريضة الجهاد ويشقون طريق التقدم وسط العتمة والخراب أو دعوتهم إلى أن يتحلوا بالصبر والصلاة أمام مصائب الحياة. وأما إذا كان مخاطبه الله عز وجل فتتبدل معانى الأمر إلى الدعاء من الله إلى رعاية طفلته، وتثبيت فؤاده على مجريات الحياة والإجبار بخاطر أعزائه على أحداث الحياة ومصائبها.

الهوامش:

(1) ولد الدكتور إبراهيم أحمد المقادمة عام 1952م في مخيم جباليا ودرس في مدارس وكالة الغوث الدوليّة، انتقل إلى مصر لمواصلة دراسته الجامعية حيث التحق بكلية طب الأسنان وتخرج منها طبيباً عام 1976م. كان في ذلك الوقت قد التحق بجماعة الإخوان المسلمين؛ فكان إلى جانب تحصيله للعلم يقوم بمهام الدعوة مع الإخوان المسلمين؛ عاد إبراهيم بعد نهاية دراسته إلى قطاع غزة. وفور عودته عُيِّن في مديرية الصحة زمن احتلال الإسرائيليين. كان كلّ همّه تحرير فلسطين ومقدساتها من إحتلال الصهاينة، فقد عرف عنه العقل المفكر لجماعة الإخوان المسلمين في غزة (ملاإبراهيمي، 1390ش: 304).

كان إبراهيم المقادمة من أكثر الشخصيات القيادية في حركة حماس أخذاً بالاحتياطيات الأمنية واستخدام أساليب مختلفة في التنكر والتمويه عبر تغيير الملابس والسيارات التي كان يستقلها وكذلك تغيير الطرق التي يسلكها، حتى عرف عنه أنه كان يقوم باستبدال السيارة في الرحلة الواحدة أكثر من مرة. ولكن مع الأسف اغتالته قوات الاحتلال الصهيوني مع ثلاثة من مرافقيه صبيحة يوم السبت 2003/3/8م وذلك عندما قامت طائرات الأباتشي بقصف السيارة التي كان يستقلها ومرافقوه بالصواريخ، مما أدى لإستشهادهم جميعاً بالإضافة إلى طفلة صغيرة كانت مارة في الطريق (زبن، 2003م: العدد 16).

ترك إبراهيم المقادمة آثاراً واضحةً في ميادين متعددة منها المجال العسكري والسياسي والتربوي والفكري. من مؤلفاته: إتفاق غزه أريحا... رؤية إسلامية؛ الصراع السكاني في فلسطين (1990م)؛ معالم في طريق تحرير فلسطين؛ ديوان شعر جمعه الدكتور عبدالخالق محمد العف بعد إستشهاده واطلق عليه اسم "لاتسرقوا الشمس"؛ مسرحية يحيى بن عياش؛ مجموعة من المقالات الساسية والفكرية كان ينشرها أسبوعياً في مجلة الرسالة التي يصدرها حزب الخلاص الإسلامي بغزة (ملاإبراهيمي، 1390ش: 304).

إن إبراهيم المقادمة كان «من القواد المؤسسين لحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، والقائد الأول للجهاز الأمني لهذه الحركة. فاعتقل مرات بتهمة إنشاء جهاز عسكري للإخوان المسلمين في قطاع غزة وحكم عليه بالسجن عدة سنوات» (زبن، 2003م: العدد 16). فلذلك قضى أكثر عمره في سجون الإحتلال. لم يقتصر دور إبراهيم المقادمة على المجال السياسي والفكري، بل تعداه إلى التجربة الشعرية النابعة من تجارب قاسية مرّ بها المقادمة ما شحذت عواطفه وقريحته مجموعة من القصائد التي جمعت في ديوانه الصادر "لاتسرقوا الشمس". وهذا الديوان يحتوي على 13 قصيدة أنشد الشاعر 12 قصيدة منها في السجن ولهذا مليء بالعواطف والأحاسيس حول شعبه الفلسطيني وخاصة شوقه إلى الأهل (رزقة، 2004م: 68).

يتميز شعره بكونه مقاوماً، جاء من أتون معركة ضارية بين الأسرى وبين إداراة قمع السجون بأجهزتها المختلفة، إزاء ذلك انبرى الشاعر ممن نضجت قرائحه، وتفجّرت مواهبه الشعرية، ليقف في مقدمة المجابهة؛ ليعبّر عما يختلج في نفسه من ألم وحزن وأسى. وعليه فإننا لسنا «أمام شعر باكٍ شاكٍ ضعيف حزين، يرسل الدمع مدراراً، وليس شعراً صاخباً يواجه واقعه بالصراخ، بل نحن أمام شعر مقاوم ملتزم، ولعل أبرز ما يلحظ في هذا الشعر وحدته الموضوعية؛ إذ تتلاحم قصائد الشعراء الأسرى تلاحماً عضوياً، كونه انطلق من ظروف واحدة، وهدفه واحد، ويمتاز أيضاً بكثرة استخدام الرمزية، كوسيلة ناجعة تختصر المسافات للوصول إلى المعنى العميق في نمط موجز موح، فإن هناك حاجة أمنية لهذا الشعر؛ لأن القصيدة الصريحة تعدّ جرماً يعاقب عليها قانون الاحتلال الإسرائيلي؛ لهذا السبب نجد الشاعر الأسير أكثر من غيره استخداماً للرمز؛ هروباً من عقاب جلاديه، وتضليلاً لمحاكمه العمياء» (المصري، 2015م: 95- 96).

المصادر

- القرآن الكريم
- إبن عصفور الإشبيلى، (1996م)، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخرالدين قباوة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
- احمدي، بابك، (1377)، آفرينش و آزدي، الطبعة الخامسة، طهران، مركز.
- أنيس، إبراهيم، (1983م)، الأصوات اللغوية، القاهرة، مكتبة نهضة.
- بربخ، غريب محمد، (2010)، «أساليب النداء في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- التفتازاني، سعدالدين، (2001م)، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- حسن، عبدالرحمن، (2007م)، البلاغة العربية أساسها وعلومها وفنونها، الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم والنشر والتوزيع.
- الحنفي، معاذ محمد عبد الهادي، (2006م)، «البنية الإيقاعية في الشعر الفلسطيني المعاصر شعر الأسرى أنموذجا»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- الدسوقي، محمد، (1991م)، شرح التلخيص، بيروت، دار الإرشاد الإسلامي.
- رحماني، تقي، (1384)، هرمنوتيك غربي تأويل شرقي، طهران، مطبعة سرايي.

- رزقة، موسى يوسف، (2004م)، الأعلام بتراجم شهداء انتفاضة الأقصى، غزة، إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية.
- زين، نبيل، (2003م)، موسوعة شهداء فلسطين، فى موقع http://ajooronline.com
- عتيق، عبدالعزيز، (1985م)، علم المعاني، بيروت، دار النهضة العربية.
- غنيم، كمال أحمد و جواد اسماعيل الهشيم، (2012م)، «جماليات الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر»، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرون، العدد الثاني، ص 59 – 97.
- فضل، صلاح، (1998م)، أساليب الشعرية المعاصرة، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- كلاب، محمد مصطفى، (2012م)، «البطولة في شعر الشهيد إبراهيم المقادمة»، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرين، العدد الأول، ص 1– 39.
- الكحلوت، يوسف شحدة، (2003م)، ديوان لا تسرقوا الشمس دراسة نقدية، الجامعة الإسلامية، غزة.
- محسن، ناهض محمود، (2005م)، «الشخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- المصري، زياد فايز، (2015م)، «القيم الإنسانية والجمالية في شعر الأسرى مقاربة بنائية ودلالية»، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ص 95– 121.
- المقادمة، إبراهيم، (2004م)، لاتسرقوا الشمس، غزة، إصدارات مجلس طلاب الجامعة الإسلامية.
- ملاابراهيمي، عزت، (1390ش)، گاهشمار رويدادهاى تاريخ معاصر فلسطين، طهران، مطبعة مجد.
- النحال، جمال محمد، (2007م)، «أساليب النفي والتوكيد في شعر رثاء شهداء انتفاضة الأقصى»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.
- النعامي، ماجد محمد، (2007م)، «توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم المقادمة»، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ص 45– 91.
- الهاشمى، أحمد، (1388ش) ، جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع، طهران، مطبعة الهام.
- الهشيم، جواد إسماعيل، (2011م)، «الإلتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.